Ramzy Baroud & Ilan Pappé

رؤيتنا للتحرير

أحاديث صريحة للقادة والمفكرين الفلسطينيين

تحرير: رمزي بارود و ايلان بابيه

ترجمة: د. ابتسام محمد الخضراء

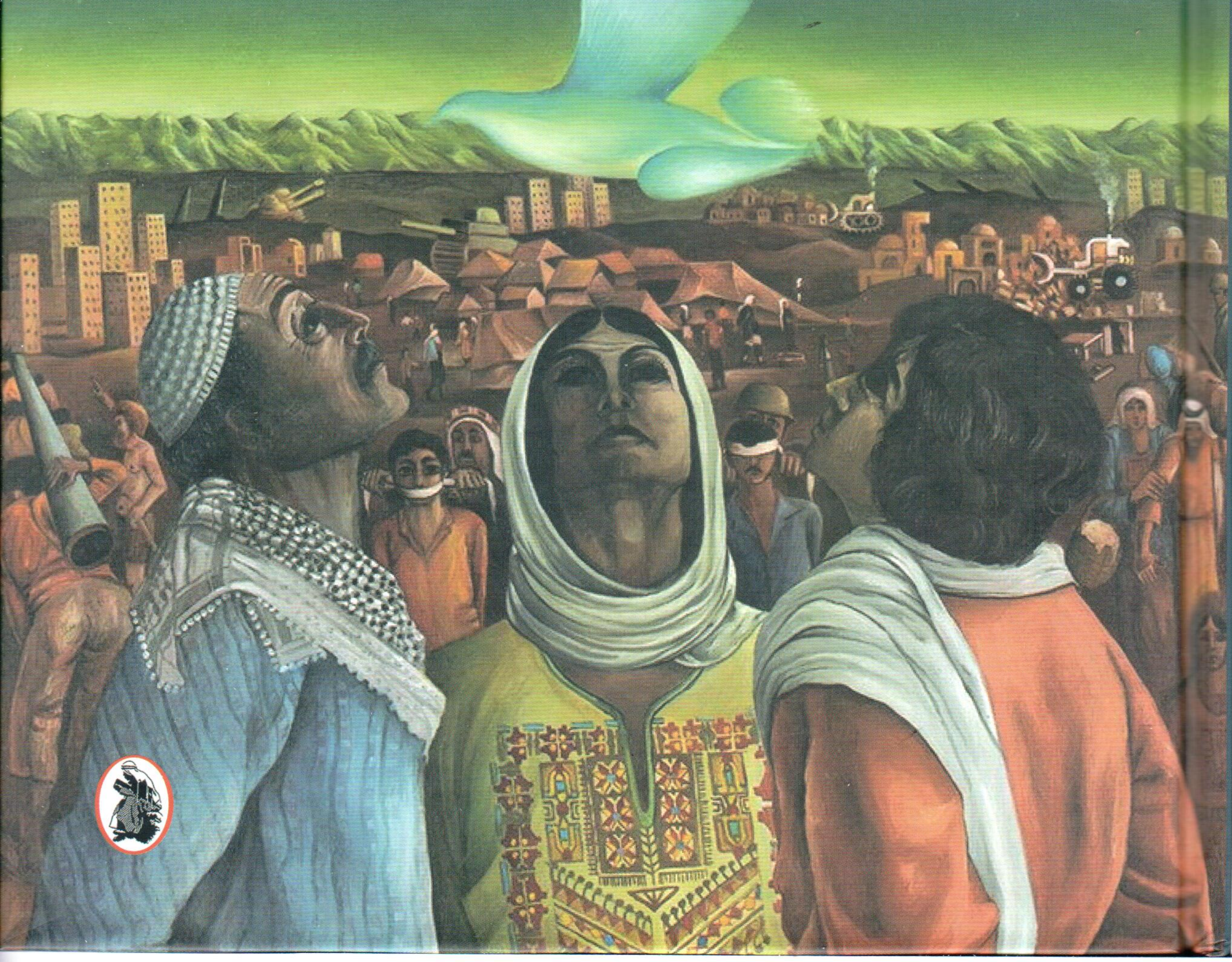

تأملات فلسطينية فيما نتعلمه

مازن قمصية

لا شك في أن ما نتعلمه في مرحلة الطفولة سيُشكل مستقبلنا. وحيث يتم التأكيد على هذه الحقيقة البسيطة بالنسبة لي كل يوم، وذلك لأن تجارب طفولتي هي التي جعلتني ما أنا عليه اليوم. كان لطف والدتي، والتي تبلغ الآن تسعة ثمانين عامًا، تجاه الغرباء، هو الذي علمني المعنى الحقيقي للعمل الخيري. وعلاوة على ذلك، فقد كان التزام والدي وعمله الجاد هو ما علمني ألا أضيّع الوقت. لقد كنت أرافق عمي، سنا عطا الله، عالم الحيوان الفلسطيني الأول، إلى الحقول التي علمتني حب الطبيعة. كما علمني جدي لأمي أن أعرف معنى الكتب وأقدّرها وأحبها. كانت كل هذه التأثيرات موجودة، وحتى عندما كنت بين السادسة والسابعة من عمري. لم أكن أقدّر دائمًا نعمة كم كنت محظوظًا لأنني ولدت في عائلة من المعلمين.

وهنا، اسمحوا لي أن أخبركم عن اثنين فقط من هؤلاء الناس. فقد ولد جدي لأمي في قريتنا الصغيرة بيت ساحور، مثل أجداده ومعظم أحفاده. تقع بيت ساحور بين التلال وفي منتصف الطريق بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت، وكانت هي «حقل الرعاة» المذكور في الكتاب المقدس حيث رأى الرعاة نجماً منذ حوالي ألفي عام وصعدوا التلة إلى بيت لحم حيث ولد المسيح. كما وتقع منازل أجدادي ووالديّ فعليًا أسفل التل من كنيسة المهد، وحيث يعتقد التقليد بأن يسوع النبي قد ولد. كنت وأثناء عودتي من طريق المدرسة في بيت لحم، أتوقف كثيرًا وأتأمل الشموع في مغارة الكنيسة، ثم أذهب لزيارة أجدادي. كان جدي، أو سيدو، يحب أن يروي قصته عن المصاعب التي واجهها خلال

الحرب العالمية الأولى، وذلك حين فقد جميع أفراد أسرته، وكيف بنى نفسه بنفسه، وهو يتيم.

كنا مجموعة من الأطفال المغامرين، وكنا في بعض الأحيان، نأكل ثمار الزعرور البري، وفي أحيان أخرى، نستخدم المقلاع لاصطياد عصفور أو قُبرة لنأكل لحومها. وكان بإمكاننا دائماً، بعد هذه الرحلات المتعبة، الاعتماد على وجبة طعام لذيذة كانت جدتي تطهوها من أجلنا، والتي كانت تعرف بطريقة أو بأخرى، متى سنتوقف. كانت هذه الزيارات أكثر تكرارا في موسم الأسكدنيا، التين، المشمش، والعنب واللوز، والتي كانت وفيرة في الحديقة التي كان جدي يعتني بها جيدًا. لم يكن لدى أبي وأمي حديقة - كنا نعيش في شقة مستأجرة - حتى بعد عام 1970، عندما بنينا منزلنا الخاص. كان عمري ثلاثة عشر عامًا حينذاك.

وهكذا، فإن ذكريات حديقة أجدادي كانت تشغل عقلي دائماً، وحتى بعد بضعة عقود، حيث كنت أعتني بحديقتي الخاصة، وكذلك الحديقة النباتية في معهد فلسطين للتنوع البيولوجي والاستدامة.

كان سيدو يقوم أحيانًا بزراعة المنتج الزراعي الأكثر شهرة في بيت ساحور، وهو نبات الفقّوس، نوع من الخيار ثعباني الشكل وذو طعم حلو وصغير الحجم، والذي يبدو بأنه كان يزدهر في التربة الحمراء الغنية للتلال المحيطة ببيت لحم. وفي الواقع، كان سكان المدينة يشتهرون بأعمال الزراعة لأكثر من خمسة آلاف عام، وزرعوا القمح والزيتون واللوز والزيتون والعنب وغيرها من الفواكه والخضراوات المتنوعة.

كان سكان بيت ساحور يتعايشون بسلام ووئام معًا، على الرغم من أنهم لم يكونوا متجانسين. كان المسجد والكنيسة - ولا يزالان - بجوار بعضهما البعض. كان العلمانيون والمتدينون يمزحون مع بعضهم البعض، ويختلفون أحياناً، ولكنهم كانوا أصدقاء مقربين. كان لدينا يساريون، وحتى شيوعيون، بمن فيهم أحد أعمامي، وكذلك كان هناك يمينيون، مثل عمي الآخر. لقد كنت أستمتع بالمناقشات والحوارات المفتوحة فيما بينهم، والتي تتحول في بعض الأحيان إلى

سجالات ساخنة، والتي تتبعها بعد لحظات قليلة، مشاجرات محتدمة أثناء اللعب بأوراق اللعب!

كانت هناك عائلة سوداء واحدة على الأقل أعرفها في بيت ساحور، وهي عائلة إثيوبية مسيحية. وبالتالي، كانت تحدث من حين لآخر، بعض المشاكل بالطبع، ولكن ليس بين المسلمين والمسيحيين، أو حول لون البشرة. بل كانت هناك اختلافات مذهبية بين الأغلبية من الروم الأرثوذكس والطوائف البروتستانتية.

كانت هذه الخلافات ملحوظة أكثر بالنسبة لنا، وذلك لأن عائلة أمي كانت لوثرية في حين كان أبي من الروم الأرثوذكس. كانت مدينة بيت لحم المجاورة أكثر تنوعًا مع الأرمن والشركس والأقباط والديانات والجنسيات الأخرى، ولكنها كانت كلها متشابكة. كان من السهل التعامل مع أية خلافات عائلية من قبل القادة الحكماء وكبار السن، والذين لم يكن يجرؤ على تحديهم سوى المراهقين المتحمسين مثلنا.

وعلاوة على ذلك، كانت تحدث خلافات عرضية أخرى بين القرويين وبين البدو الرحل القريبين، والذين كانت تدمر قطعان ماعزهم محاصيلنا. وبالتالي، كان من المعتاد وجود النواطير غير المسلحين حول الحقول من أجل حمايتها. ومع ذلك، كنا نعتمد أيضًا على البدو في الحليب والجبن ومنتجات اللحوم، وكانوا يعتمدون علينا في المنتجات الزراعية. بشكل عام، استمر الانسجام بين البشر والطبيعة هناك لآلاف السنين.

بدأت الأمور تتغير بشكل كبير مع ظهور الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، ومن ثم تسارعت في الفترة الواقعة بين عامي (1918-1948) في ظل «الانتداب» البريطاني، وإلى أن بلغت ذروتها مع النكبة، أو الكارثة 1948-1949. لقد جعل هذا الحدث الهام معظم شعبنا الفلسطيني مجرد لاجئين، ومزق المناظر الطبيعية القديمة. رفضت المجتمعات النابضة بالحياة والمتعددة الأعراق والثقافات والديانات في فلسطين فكرة «دولة يهودية». (قمصية 2004). كما تم إدراج خط الهدنة في عام 1949، والذي يسمى «الخط الأخضر»، والذي فرّق العائلات عن

أراضيها وعن بعضها البعض. فجدتي، والتي تعيش هنا في بيت لحم، تتحدر من الناصرة وتتوق لرؤية تلك المدينة القديمة. كما لا تزال والدتي تتذكر صديقتها، حياة بلبيسي، والتي قُتلت في سن السادسة عشرة في قريتها دير ياسين، إحدى القرى الثلاث والثلاثين التي ارتكبت فيها مجازر خلال النكبة. ولكن نكبتنا لم تنته عام 1949. فقد احتلت دولة إسرائيل الجديدة بقية فلسطين عام 1967.

بدأت إسرائيل بعد عام 1967 مباشرة، عملية دمج الأراضي الفلسطينية في المناطق التي احتلتها وبناء مستعمرات / مستوطنات يهودية فقط هناك. كان هذا مشروعًا استيطانيًا استعماريًا وليس مجرد احتلال عسكري. لقد تم إنشاء إسرائيل لتصبح دولة يهودية وكنا، كفلسطينيين، «الآخر» غير المرغوب فيه. وبالتالي، يوجد الآن أكثر من سبعة ملايين ونصف المليون لاجئ أو نازح فلسطيني، في حين يعيش ستة ملايين آخرين في أحياء معزولة / بانتوستانات مثل بيت لحم. كان معظم الفلسطينيين يعملون في الزراعة. إلا أنه وأثناء الاستيلاء على أراضيهم، أُجبر الكثير منهم على البحث عن وظائف أخرى. كما واضطر الآلاف للعمل في بناء المستوطنات والطرق اليهودية، والتي تغطي الآن معظم الضفة الغربية وقطاع غزة. وبالتالي، فإن ما شكل طفولتي وآرائي قد شمل كلا من التأثيرات الأسرية والتأثيرات الوطنية الأكبر. ولكني إذا كنت سأختار حدثًا مهمًا جعلني ما أنا عليه، فسيكون وفاة عمي سنا في عام 1970، والذي علمني حب الطبيعة.

كانت هذه نقطة تحول بالنسبة إليّ. كان العم سنا قد حصل للتو على درجة الدكتوراه. ومن ثم بدأ التدريس في إيران عندما اصطدمت شاحنته، التي أعيد تصميمها كوحدة أبحاث متنقلة، بشاحنة انحرفت إلى المسار الآخر. قُتل عمي سنا ومساعده على الفور. كان عمره وقتذاك سبعة وعشرين عاماً. ولذلك فعندما كنت لا أزال في الثالثة عشرة من عمري، وعدت نفسي ووالده، سيدو، بأن أسير على خطاه.

تخرجت بعد أربع سنوات، من المدرسة الثانوية، ومن ثم بدأت مسيرتي

المهنية الطويلة في تعلم علم الأحياء - ما زلت أعتبر نفسي طالبًا للمعرفة. وشمل ذلك درجة البكالوريوس في علم الأحياء (1978)، والتدريس في عدة مدارس في أريحا وبيت لحم والقدس (1978-1979)، ومن ثم حصولي على درجة الماجستير من ولاية كونيتيكت (الولايات المتحدة الأمريكية، 1982)، ثم درجة الدكتوراه من تكساس (1985)، تليها فترات ما بعد الدكتوراه في لوبوك، تكساس وممفيس، تينيسي (1986-1989)، ثم في آخر مناصب أعضاء هيئة التدريس في كليات الطب والمستشفيات في جامعة «تينيسي» حتى عام 1992، جامعة «ديوك» (1993-1999) وجامعة «يال» (1999-2005).

وعلاوة على ذلك، حصلت أيضًا على شهادة البورد في علم الوراثة الطبية وأدرت مختبرات إكلينيكية، تابعة للمستشفيات الأكاديمية وكذلك الخاصة أيضًا.

في الواقع، أصبح إنشاء مشاريع ومؤسسات جديدة أمرًا رائعًا بالنسبة لي. وكما كان قد لوحظ، لم يكن التعليم الرسمي والخدمات المهنية الرسمية هي التي أعتبرها الأكثر تشكيلاً لتفكيري أو نشاطي الجماعي أو ريادة الأعمال. كانت الملاحظات غير الرسمية، والنماذج التي يُحتذى بها لأفراد الأسرة هي التي شكّلت مستقبلي في وقت مبكر جدًا من مرحلة الطفولة.

بدأ والدي، وهو مُدرّس، مشروعين على الأقل لا علاقة لهما تمامًا بخلفيته كمُدرّس في مدرسة ابتدائية: متجر ألعاب للأطفال ومصنع لمخفف الطلاء. كما كتب جدي لأمي كتبًا حول مواضيع تتراوح من قواعد اللغة العربية إلى الأمثال الفلسطينية، ولمجرد أنه كان يُحب المعرفة. هذا هو السبب في أنه لا يوجد يوم يمر دون أن أفكر في هؤلاء الناس. بالطبع، كان هناك أشخاص كُثر من الذين أثروا عليّ كشخص بالغ، ويجب أن أذكر بعضاً من تلك الأسماء، وهما مستشاراي الرئيسيان للماجستير والدكتوراه. كان هؤلاء الناس طيبين وكُرماء للغاية. حصل «رالف ويتزل» على درجة الدكتوراه. والذي كان مستشارا لعمي سنا في جامعة «كونيتيكت 1966-1969» ومستشاري أثناء دراستي للماجستير 1979-1982 . كنت آخر طالبِ دراسات عليا قبل تقاعده.

كان من نوع الرجال الذين يعملون بجدّ. وقد عشت في علِيّة منزله لفترة من الوقت، واستمتعت بالطهي الممتاز لزوجته. كما كان مستشاري الرئيسي في ولاية تكساس هو «روبرت بيكر»، الذي اعتاد أن يتحداني. وعندما كنت أواجه بعض الصعوبات، كان يقول لي:

«... إن ما لا يقتلك، يجعلك أقوى!».

كان هذا الدعم حاسمًا، فعلى سبيل المثال، وعندما أصبت بسكتة دماغية أصابت جانبي الأيسر بالشلل، أو عندما حاول طالب سابق ساخط تشويه سمعتي في العودة إلى روبرت. كنت في حالة ذهول شديد في بعض المناسبات، ولدرجة أنني فكرت في التخلي عن متابعة التعليم برُمّته. كانت حكمة روبرت ونصائحه، ومساعدة زملائه من طلاب الدراسات العليا في ذلك الوقت، عاملين حاسمين في اجتياز تلك الفترة ومن ثم الخروج منها بشكل أقوى. ولكوننا بعيدين عن وطننا، فقد كان روبرت ولورا عائلتنا في الغربة.

وعلاوة على ذلك، اندمج طلاب الدراسات العليا وطلاب المرحلة الجامعية الأولى من أجزاء كثيرة من الولايات المتحدة والعالم معًا كعائلة متماسكة في «علم الثدييات». أتذكر بشكل خاص كيف اعتنى بعض طلاب الدراسات العليا، وبمساعدة من روبرت ولورا، بزوجتي كأم جديدة في عام 1985، بينما كنت في مهمة علمية إلى دولة كينيا في إفريقيا لمدة شهرين.

وهكذا، حاولت محاكاة هؤلاء الموجّهين في التعامل مع طلابي. فقد سعيت إلى تقديم الدعم لهم، ليس فقط على المستوى الأكاديمي، ولكن بطرق شخصية يصعب وصفها. كما قال روبرت بيكر لطلابه المتخرجين في عدة مناسبات:

«الحبل السري لا يقطع أبدًا!».

لقد علمت أنه كان يقصد أن نبقى على اتصال، وأن المستشارين هم مثل الآباء الذين يواصلون الرعاية حتى بعد مغادرة أطفالهم المنزل. بعد سنوات عديدة، أدرك أيضًا أن هذه «المعرفة»، الحبل السري، تتجاوز الأجيال. فأولئك الذين علّموا وشكّلوا حياة جيل سابق، قد شكلّوا حياتنا، وحتى لو لم يقابلونا

أبدًا. لقد أصبحت هذه النقطة أوضح بالنسبة لي الآن، أكثر من أي وقت مضى.

لقد فقدت معظم هؤلاء الأشخاص الطيبين بفعل الموت الحتمي الذي يطاردنا جميعًا، ولا أزال أفقد الأصدقاء والزملاء بشكل منتظم الآن وأنا في الستينيات من عمري. لقد فقدت تسعة عشر صديقاً من أصدقائي المقربين منذ عودتي إلى فلسطين في عام 2008، قُتل معظمهم على أيدي جنود إسرائيليين أثناء مشاركتهم في المقاومة اللاعنفية للاحتلال. من الصعب، في بعض الأحيان، الاستمرار، بينما تواجه العديد من التحديات، خاصة عندما تقرر مواجهة تحديات كبيرة. إلا أنه ومع ذلك، فإن القوة التي قدمتها لنا تلك الأجيال السابقة هي الهبة الرئيسية لنا في الحياة، والتي ستستمر وتطول، جيلاً بعد جيل. لذلك، أقضي معظم وقتي الآن مع الشباب، وأركّز في أغلب مشاريعي الجديدة على تمكين الشباب.

كنت أُخطط على الدوام عندما انتقلت إلى الولايات المتحدة، للعودة إلى فلسطين، ومن أجل العمل من خلال تمكين الأجيال الجديدة هناك، وبالتالي سداد بعض الديون التي كنت أدين بها لمعلميَّ الرسميين وغير الرسميين. صحيح أن بعض التأخير في العودة قد حدث، مثل الزواج وإنجاب ابن بحاجة إلى الحصول على تعليم جيد في الولايات المتحدة، وبالإضافة إلى وجود فرص رائعة للعمل الأكاديمي مثل المناصب التي شغلتها في جامعتي «ديوك» و«يال».

ومع ذلك، كانت هذه التأخيرات أيضًا طريقتي للاستعداد بشكل أفضل ماليًا واجتماعيًا وأكاديميًا وعاطفيًا لهذه الخطوة. كانت العودة إلى فلسطين في عام 2008 أفضل خطوة قمت بها في حياتي. لقد تركت مهنة ذات أجر جيد لتدريس دورة أو دورتين سنويًا هنا ولأركز معظم طاقتي على خدمة الناس، وخاصة الشباب. في الولايات المتحدة، كنت ناشطًا سياسيًا أيضاً، حيث شاركت في تأسيس عدد من المنظمات والحركات، مثل تحالف حق العودة الفلسطيني وجولة عجلات باص العدالة. وعلاوة على ذلك، كنت قد نشرت

ثلاثة كتب في الولايات المتحدة، بما في ذلك تقاسم أرض كنعان.[1]

ومع ذلك، أصبح من الواضح أنني أستطيع تقديم المزيد من الخدمات في فلسطين ولعدد أكبر من الناس.

وهكذا، بدأت في عام 2008، مختبرًا إكلينيكيًا هنا في جامعة بيت لحم، ومن ثم بدأت التدريس بدوام جزئي في أكثر من جامعة. كما وشاركت في المقاومة الشعبية وكتبت كتابًا حول هذا الموضوع.[2]

وإضافة إلى ذلك، قمت بتوزيع نسخ من كتابي - النسخة العربية - للشباب، وكنت سعيدًا للاستماع إلى أفكارهم والتعلم منها. فقد تميز بعض الشباب الذين تعاملت معهم أكثر من غيرهم. على سبيل المثال، كان باسل الأعرج من الولجة حريصًا بشكل خاص، على تعلم وتجريب أساليب المقاومة اللاعنفية.[3]

لقد قطع هو ومجموعة من الشباب طريق المستوطنين. استقل هو وأنا وأربعة آخرون حافلة - إحدى حافلات المستوطنين المعزولة - لتسليط الضوء على الفصل العنصري في عمل أطلقنا عليه اسم «فرسان الحرية الفلسطينية». وكان خلال المرات العديدة التي احتجزت فيها، ومن دواعي سروري دائمًا، التحدث مع زملائي المعتقلين، والذين كانت أعمارهم جميعاً أصغر من عمر ابني. لقد علمني باسل الكثير. ونحن نفتقده - قتل على يد جنود إسرائيليين.

لطالما اعتقدت أن أعمال المقاومة مهمة للغاية، ولكن التعليم والفن والزراعة والمئات من أنشطة الحياة الأخرى في ظل الاستعمار هي أيضًا مقاومة. يُطلق

---

(1) مازن ب. قمصية، تقاسم أرض كنعان: حقوق الإنسان والنضال الإسرائيلي الفلسطيني (لندن: مطبعة بلوتو، 2004).

(2) مازن ب.قمصية، المقاومة الشعبية في فلسطين: تاريخ من الأمل والتمكين (لندن: مطبعة بلوتو، 2012).

(3) مازن ب. قمصية، «باسل الأعرج من الولجة: RIP،» 8 آذار / مارس 2017، https://peacenews.org/2017/03/08/basil-al-walaja-rip-mazin-qumsiyeh/

عليها اسم الصمود في اللغة العربية، وهو مزيج من المقاومة والصمود.

كنت ومنذ عودتي إلى هنا، دائم البحث عن طرق لاستخدام وضعي الجديد، والمتميز إلى حد ما، للمساعدة في هذا الصدد. أقول عن وضعي «المتميز» لأنني كنت مكتفيًا ذاتيًا على الصعيد الاقتصادي، ولدي خلفية تعليمية رائعة، وحتى إنني أمتلك جواز سفر أمريكياً. كانت كل أفعالي موجهة لمساعدة الناس على الصمود، سواء من خلال اقتناء الأغنام لأعطيها لأسرة محتاجة حتى يتمكنوا من بناء مصدر دخل، أو دفع رسوم تعليم الطلاب المحتاجين لمتابعة علومهم، أو غرس القليل من الأشجار.

ولمساعدة الشباب، أنشأنا برامج ماجستير في التكنولوجيا الحيوية في جامعة بيت لحم، ودراسات بيئية في جامعة بيرزيت. وفي عام 2014، تبرعت أنا وزوجتي بمبلغ مئتين وخمسين ألف دولار أمريكي لبدء معهد فلسطين للتنوع البيولوجي والاستدامة، ومتحف فلسطين للتاريخ الطبيعي في جامعة بيت لحم. كان المعهد يحمل شعار: «احترام أنفسنا والآخرين والطبيعة».

تساعدنا مستويات الاحترام هذه في تحقيق رؤية المجتمعات البشرية والطبيعية المستدامة. كما وتشمل مهمة المعهد البحث والتعليم والملاحظة والحفظ، فيما يتعلق بتراثنا الثقافي والطبيعي.

لقد كنا أنا وجيسي متطوعين بدوام كامل خلال هذه السنوات السبع. وبمساعدة متطوعين آخرين ولاحقًا، حفنة من الموظفين، تمكّنا من القيام بالكثير في مجالات التثقيف البيئي والبحث والحفظ. مرة أخرى، كان هذا شكلاً من أشكال المقاومة، بعد كل شيء.

وعلاوة على ذلك، استفاد الآلاف من طلاب المدارس والجامعات من إنشاء هذا المركز في بيت لحم. كما وأصبحت الحديقة والمرافق الخاصة به واحة وملجأ للناس والحياة البرية، وسط حالة من عدم اليقين السائدة، وحتى الفوضى العارمة، في فلسطين.

أصبحت الحديقة النباتية تضم الآن أكثر من ثلاثمائة وثمانين نوعًا من النباتات. كما وأصبح لدينا متحف جيد للتاريخ الطبيعي، ومعرض إثنوغرافي.

وكذلك أصبحت لدينا مكتبة تضم آلاف الكتب. وبالإضافة إلى ذلك، توجد حديقة مجتمعية، وملعب استكشافي للأطفال، ووحدة لإعادة تأهيل الحيوانات، ووحدات بحثية، ومعشبة ونماذج للاستدامة - الغاز الحيوي، والألواح الشمسية، ومركز السماد وإعادة التدوير، والزراعة المائية، والأكوابونيك، وما إلى ذلك، إلا أنه ومع ذلك، كانت كل هذه «المرافق» تُعتبر مجرد مرافق صغيرة مقارنة بالشرارة الناتجة عن طفل واحد أو طالب جامعي، مثلي منذ عقود عديدة، أصبح مدمنًا على المعرفة بهدف خدمة الآخرين.

لا شك في أن أفضل شكل من أشكال الفن هو، بالطبع، التقليد، ولذلك حاولت تقليد أولئك الذين سبقوني وكذلك التأثير على الجيل التالي. لا تحتاج المخيمات التي تم إنشاؤها إلى التعرف على منشئها: من اخترع العجلة على أي حال؟ عندما رأى ابني، داني، خريطة الولايات المتحدة الآخذة في الانكماش بعد الاستعمار ورسم خريطة فلسطين المنكمشة في عام 1998، استخدمتها ثم استخدمها مئات الآلاف بعد ذلك - وكان لهذا تأثير متتال. فأولئك الذين شكلوا الحياة هم، في الأساس، خالدون من خلال أفعال الآخرين الذين تأثروا بها، والتي ستُشكل ما ستكون عليه الأجيال الأخرى وما إلى ذلك، وإلى ما لا نهاية. بيد أنه يجب ألا نقلل من هذا التأثير المتموج، ففي الواقع الصغير إلى هذا الحد، قد يكون للأسباب تأثيرات كبيرة، يشار إليها عادة من قبل العلماء بعبارة «أثر الفراشة»، والتي كان قد عبّر عنها إدوارد لورنز أولاً، حين زعم أن الفراشة التي تفرد جناحيها في البرازيل يمكنها أن تسبب إعصارًا في ولاية تكساس. نحن نعرف ولكن بشكل غامض عن الذي أثّر في الجيل السابق، ولكن في بعض الأحيان، قد يكون من الرائع التكهّن. ولكن إذا كان باستطاعتي أن أعود في آلة الزمن، فهل سأكون قادرًا على العودة، جيلاً بعد جيل، لأكتشف ربما، تلك الشرارة التي أثرّت في جدّي، ومن ثم أتت من تلميذ ليسوع هنا في فلسطين؟

هناك طريقة أكثر عملية للتفكير في الأمر، وهي أن نقرر كيف نُمضي وقتنا في مساعدة الآخرين. أشعر بالفخر أكثر عندما أرى الطلاب الذين ساعدتهم،

والذين أصبحوا الآن راسخين في العلم والمعرفة، ويساعدون الآخرين بدورهم. عندما أشهد شغف أحد متطوعينا أو موظفينا الذين يعملون مع طفل، لا يسعني إلا أن أُشحن عاطفيًا أكثر. أتذكر الكلمات الخالدة لخليل جبران، وأتساءل من أثّر عليه وبمن تأثر: إنك إذا أعطيت فإنما تعطي القليل من ثروتك، ولكن لا قيمة لما تعطيه ما لم يكن جزءاً من ذاتك لأنه أي شيء هي ثروتك؟ أليست مادة فانية تخزنها في خزائنك وتحافظ عليها جهدك خوفاً من أن تحتاج اليها غداً. ولكن ما الذي سيجلبه لك الغد، وما الذي سيستفيد منه الكلب الحكيم الذي يدفن العظام في الرمال التي لا أثر لها، وهو يتبع الحجاج إلى المدينة المقدسة؟ ما هو الخوف من الحاجة، سوى الحاجة ذاتها؟.[1]

إذا كنا نأمل في أن يتخطى البشر تحديات الاستعمار والعنصرية والحروب والتكنولوجيا والأوبئة وتغير المناخ، فلا يمكن أن يُعزى هذا النجاح إلا إلى مثل هذا التأثير المتتالي. إذا أشعلت الشمعة شمعة أخرى قبل أن تنطفئ، فهل ستنطفئ فعلاً؟

علاوة على ذلك، قد يكون ما أقول قولا مُكرراً أو مطروقاً، ولكن سطوع الضوء يصبح أكثر وضوحًا وتقديرًا في الظلام.

---

(1) خليل جبران، النبي (نيويورك: ألفريد أ.كنوبف، 1923)

مازن قمصية . مؤسس ومتطوع في معهد فلسطين للتنوع البيولوجي والاستدامة في جامعة بيت لحم .

http://palestinenature.org.

قام قمصية بنشر أكثر من 160 ورقة علمية ، وأكثر من 30 فصلاً في الكتب ، وكذلك العديد من الكتب حول موضوعات تتراوح مواضيعها بين التراث الثقافي إلى حقوق الإنسان إلى الحفاظ على التنوع البيولوجي وأمراض السرطان . وهو عضو في مجلس إدارة عدد من المنظمات الفلسطينية الشبابية والخدمية . انظر أيضًا

Http: // qumsiyeh. Org

كما ويشرف على العديد من المشاريع المتعلقة باستدامة المجتمعات البشرية والطبيعية . حائز على جائزة مؤسسة «بول . ك . فيرابند Paul K. Feyerabend» لعام 2020 (التي تكرم وتشجع الإنجازات المتميزة التي تمثل مصدرًا حقيقيًا للإلهام) ، والحائز في عام 2019 على جائزة «تكريم» التي تكرم الإنجازات العربية الرائدة (للعمل البيئي) .